استحسان الشعر واستقباحه عند الهمدانيّ في شرح القصيدة الدامغة

بقلم

أ. د. هادي عطية مطر الهلالي

جامعة بغداد ـ كلية التربية للبنات (سابقاً)
وجامعة قاريونس ـ كلية الآداب والتربية
قسم اللغة العربية

استحسان الشعر واستقباحه عند الهمدانيّ

ألمحنا في كتابنا «نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها» لآراء الهمداني النقدية، وأكدنا رأيه في استخدام اللفظ المطلوب الذي يؤدي المعنى المراد داخل التركيب اللغوي، وبينا موقفه من الضرائر الشعرية التي تقع اضطراراً المقبولة منها، والمرذولة، وتنبيهه على تثقيف الشعر وإصلاح عيوبه[1]. وإننا سنكشف هنا استحسانه للشعر واستقباحه.

ونبين كشفه للسرقات التي عبر عنها بأخذ الشعراء بعضهم من بعض سواء أخذوا اللفظ، أو المعنى، أو اللفظ والمعنى معاً.

ونورد ما ذكره من هجاء، وفخر، ورثاء، ومدح.

وعاب على الخليل بن أحمد شعره بل عدّه ضعيفاً لا نفس له لأنه كلام مرتب وليس الشعر عنده إلا ما دسع بيته طبع، فخرج البيت على كماله مثل السهم المارق من الرمية[2]. أي: المنبعث عن عاطفة جياشة وقت التأثر.

وأوّل من هلهل الشعر، وطوله هو عدي مهلهل بن ربيعة، وإنما سمّي

---

(1) نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن / 161 ـ 162.

(2) القصيدة / 563.

مهلهلاً لأنَّه أوّل من هلهله[1] كما يعتقد الهمدانيّ.

وعلق الهمدانيّ على قول الطرماح في بني أسد[2]:

(بسيط)

لَوْ كَانَ يَخْفَى على الرَّحْمٰنِ خَافِيةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدِ

قائلاً: «وهذا من الهجاء ما لا يقدر عليه غيره»[3].

والطرماح بن حكيم شاعر أعجب به أقرانه من الشعراء قبل إعجاب النقاد واللغويين.

وأورد ابن قتيبة أن محمّد بن سهل أنشد الكُمَيْتَ قول الطرماح[4].

(طويل)

إذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِّرِمَّاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى المَجْدِ واسْتَرْخَى عِنَانُ القَصَائِدِ

فقال الكُمَيْتُ: «إي واللّه وعِنَانُ الخَطَابَة والرواية»[5].

فمن كلامه أنه ماهر بفن الخطابة، والرواية إضافة إلى أنّه مالك زِمام القصائِدِ ويروي لنا رُؤْيَةُ: أَنَّ الكميتَ والطرماح أخذا عنه الغريبَ لأنَّه وجد ما أخذاه منه في أشعارهما[6].

واستجاد الأصمعيّ قوله في صفة الظَّلِيم، وفي صفة الثور[7].

---

(1) القصيدة / 426.
(2) القصيدة / 51، والشعر والشعراء 2/585، والطرماح بن حكيم 275.
(3) القصيدة / 51.
(4) الشعر والشعراء 2/585.
(5) المصدر السابق 2/586.
(6) المصدر السابق 2/586.
(7) المصدر نفسه 2/590.

وأورد الهمدانيّ قوله في هِجاء بني تميم[1]:

(طويل)

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ القَطَا وَلَو سَلَكَتْ سُبْلَ المَكَارِمِ ضَلَّتِ

وَعدّ ٱبن قتيبة هجاءَه من الإفراط.

وأورد الهمدانيّ ما قال فيهم[1]:

(بسيط)

لَوْ حَلَّ وِرْدُ تَمِيم ثُمَّ قِيْلَ لَهَا: حَوْضُ ٱلرَّسُول عَلَيْهِ الأَزْدُ لَمْ تَرِدِ
أَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ وَحْياً أَنْ يُعَذِّبَهَا إِنْ لَمْ تَعُدْ كَقِتَالَ الأَزْدِ لَمْ تَعُدِ

ويرى الهمدانيّ أنّ الأبيات المتقدمة غاية الهجاء التي لا وراءها[2] ويعني ما قالوه إنّ: «أَهْجَى بيت قالته العرب قول الطرماح بن حكيم»[3]، وهو بيت التائية المتقدم الذكر. وعَدَّ البيت الثاني من الدالية من أخبث الهجاء، وهو هجاؤُهُ للفرزدق[4]:

(طويل)

وَمَا خُلِقَتَ زَيدٌ وَتَيمُ مَنَاتِهَا وَضَبَّةُ إِلاَّ بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ

ونصّ الهمداني على أنّه قيل لجرير بن عطيّة بن الْخَطَفَي: ويحك يا جرير ألا تناضل عن أحساب قومك من بني تميم قال: ٱسم طاح، وشعر فضاح كلالا كشفتُ له قِنَاعِي. وأوردَ قولاً آخر في موضع آخر قوله: «اتركوه

(1) القصيدة / 51، والشعر والشعراء 2/587، والعقد الفريد 6/152 وفيه «قيل لهم».
(2) القصيدة / 51.
(3) العقد الفريد 6/151، والطرماح بن حكيم / 276.
(4) القصيدة / 51، والعقد الفريد 6/152، والطرماح بن حكيم / 276.

يَمْغث من القين هذا»[1]. أي: أن جريراً لم يردّ على الطرماح لأنّه يعادي الفرزدق.

ونبّه الهمدانيّ على أنّ جريراً كان منصرفاً من طرق الشعر فيما لا يهتدي له الكُمَيْت، فكان نكوله عن الطرماح خوفاً له، ونكوله عن عمر بن لجأ يوم نكل عن هجائه للاستقلال له.

وأكد أنّه لم يجد لابن لجأ شرفاً فيضعه، ولا حسباً فيطبعه[2] كما تقدم ذكر ذلك. وإنْ ذكر ابن قتيبة ما يخالف هذا القول[3].

ولما أفحم الطرماح الفرزدق بشعره مشت رجال من تميم إلى جرير فقالوا له: إنَّ الطرماح قد أسقط بني تميم فأنشأ يقول لهم وللفرزدق[4]:

(طويل)

جَدِيلَةُ، والْحَيُّ ٱلَّذِينَ هَجَوْتَهُمْ[5] كِـرَامٌ وَمَـا مـن عَـابَهُـمْ بِكَـرِيـمِ
أَتَجْعَلُ يَا ٱبنَ الْقَيْنِ أَوْساً وَحَاتِماً كَـذِي مِـرْجَـلٍ عِنْـدَ ٱسْتَـهِ وَقَـدومِ

وعدّ الهمدانيّ قوله هذا من أعجب العجب مشيراً إلى أنَّه لا يخلو من أنْ يكون جرير خاف لسان الطرماح لكنّه رجح أنه قد عرف فضل طيْء على تميم.

وينبّه الهمدانيّ على أنَّ يزيد بن مفرغ الحميريّ القلحانيّ جدّ السيد بن محمد هو الذي علم الناس الهجاء في أوّل الإسلام وفتق فيه معنى لم يكن من

(1) القصيدة / 52 قال الخليل: «المغث: العرك في المصارعة والخصومات».
(2) القصيدة / 53.
(3) الشعر والشعراء 2/680 أورد لجرير في هجاء عمر وهجاء قومه.
(4) القصيدة / 53، وشرح ديوان جرير / 515 ـ 516.
(5) في الديوان «جَدِيلَةُ وَٱلغَوْثُ الّذِينَ تَعِيبُهُمْ...».

مضى من الشعراء ـ أي شعراء الجاهلية ـ يهتدون إليه، وأورد قولاً لأبي عبيدة ـ معمر بن المثنى ـ معناه أن يزيد بن مفرغ، والسيد الحميريّ مشهوران بالهجاء، ونصّ قوله[1]: «وقع الناس من هؤلاء الحميريين ما صمدوا لشرف إلاّ وضعوه يعني يزيد بن المفرغ، والسيد بن محمد» ونبّه على أنّه ذاق هجاء أبي الهول، ويحيى بن نوفل، وغيرهم مؤكداً أَنَّ زَيْد الخيل أهجاهم جميعاً لأنّه أَسْقط ثلاث قبائل ببيت قاله[2]:

فَلَمَّا أَنْ بَدَتْ أَجْبَالُ سَلْمَى أَنَاخَ الْقَوْمُ فِي قسمِ النّهابِ
وَخَيْبَةُ مَنْ يَخبُّ عَلَى غَنِيٍّ وَبَاهِلَةَ بن أَعْصُرَ والرَّبَابِ

وعدّ ابن قتيبة كلامه من خبيث الهجاء[3]:

وكان على علماء اللغة أَنْ يسمّوه «زيدَ الخير»، وهي تسمية الرسول الأعظم (ﷺ) له، وقوله (ﷺ) فيه: «ما وُصِفَ لي أَحَدٌ في الجاهلية فرأَيْتُهُ في الإسلامِ إلاَّ رَأَيْتُه دُونَ الصِّفَةِ لَيْسَكَ»[4] يريد غَيْرَكَ ولا نعلم أنّ ثناءَه على (زيد الخير) لأنّ الرّسُولِ (ﷺ) أَثْنَى عليه، أَوْ أَنَّ شعره أبلغ من شعرهما، ويظلّ الحكم مجهولاً إلى أَنْ تخرج دواوين أبي الهول، ويحيى، وزيد.

وأبو الهول الحِمْيَرِيّ من المحدثين المجيدين المشهورين وله مقطوعات شعرية رواها ابن المعتز هي اعتذاره من الفضل بن يحيى، وكان

(1) القصيدة / 54 وانظرهجاء يزيد في ديوانه / 53، 60، 64، 78، 85، 87، 90، 135، 150، 159، 206، 218، 221، 225، 226، 238، يكاد يكون شعره كلّه هجاء.

(2) القصيدة / 54 ـ 55، والبيت الثاني في الشعر والشعراء 1/288.

(3) الشعر والشعراء 1/288.

(4) المصدر السابق 1/286.

الفضل معجباً بشعره، ومما يستحسن له مرثيته للعباس بن محمد، وغزله[1] وأما يحيى بن نوفل اليمانيّ الحميريّ، فيكنى أبا معمر ويقال: إنّه كان أوّلاً ينتمي إلى ثقيف، فلمّا ولّى الحجّاج خالد بن عبدالله القَسْرِيّ العراق ادّعى يحيى أنّه من حِمْير وكان كثيرَ الهِجَاء ولا يكاد يمدح أحداً خلاف أبي الهول والدليل على ذلك ما رواه ابن قتيبة من مقطوعات تدلّ على أنّه كان هجاء[2].

ومما نسب إلى الإمام علي (ع) قوله[3]:

(بسيط)

النّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمثيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمٌ، والأُمُّ حَوَّاءُ

فَإِنْ هُمُ طَلَبُوا في عَضْرهم نَسَباً ... يُفَاخِرُونَ بِهِ، فَالطِينُ وَالْمَاءُ

ما الْفَخْرُ إلاَّ لأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... هُمُ هُدَاةُ مَن اسْتَهْدَوْا أدلاَّءُ

وَوَزنُ كُلِّ امْرِىءٍ ما كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

ينصّ الهمدانيّ على أنه سَمِعَ مَنْ يسند هذه الأبيات إلى الإمام علي (ع)، ولا يَحْسِبُ ذلك، ويرى أنّ نصف بيت منها بل كلّه من عجيب كلامه، وهو قوله (ع): «قِيْمَةُ كُلّ امرِىء ما يحسن» ويؤكد أنّ هذه الكلمة تزن ثلث الحكمة[4].

---

(1) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز / 153 ـ 154.

(2) الشعر والشعراء 2/741 ـ 745.

(3) القصيدة / 60، والديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) / 2 وفيه (التمثال) مكان (التمثيل) وصدر الثاني (فإن يكن لهم من أصلهم شرفاً) و (الفضل) مكان (الفخر) و (استهدى) مكان (استهدوا) و (قيمة المرء) مكان (ووزن كل امرىء).

(4) القصيدة / 61.

يريد أنْ يقول: إنَّ بيته الأخير قد ضمنه حكمته البليغة التي عدّها تزن تلك الحكمة.

وأشار الهمدانيّ إلى أنّ امرأ القيس هو أوّل من فتق عين الشعر، ودقّقه، وطوله، وتفنن فيه، ووصف الدمن، والغيث، والفرس. وهو أوّل من شبّه في شعره وغزّل الغزل العجيب.

وأكد أنّ من سبقه من شعراء اليمن لم يكن في طبقته مثل الأفوه الأودِيّ، وغيرهُ من شعرائهم[1].

وقد دَلَلَّ على شاعرية امرىء القيس بقول الفرزدق عندما قيل له: مَنْ أشعر الناس؟. قال: الذي يقول[2]:

(طويل)

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

ونبّه على أنّه هو القائل في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد، ووصف العناب[3]:

(طويل)

كَأَنّ قلوب الطَّيْرَ رَطْباً وَيَابِساً لدى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وذكر أنّه المشبه أربعة أشياء في بيت بأربعة أشياء في قوله[4]:

---

(1) القصيدة / 71.

(2) القصيدة / 71، ديوانه / 53. قوله: (الجَزْع الَّذِي لَمْ يثقب) شبه عيون الوحش لما فيهنّ من السواد، والبياض بالخرز، وجعله غير مثقب، لأن ذلك أصفى له وأتم لي.

(3) القصيدة / 71 وديوانه / 38.

(4) القصيدة / 71 ـ 72، وديوانه / 21.

(طويل)

لَـهُ أَيْطَـلاَ ظَبْـيٍ؛ وَسَـاقـا نَعَـامَـةٍ وَإِرخـاءُ سِـرْحَـانٍ وَتَقْـرِيـبُ تَتْفُـلِ

ومثّل لصدق شعره بقول الفرزدق عندما قيل له: مَنْ أَصْدقَ العرب في شعره.

قال: الذي يقول[1].

(كامل)

آللَّـهُ أَنْجَـحُ مَـا طَلَبْـتُ بِـهِ وَالْبِـرُّ خَيْـرُ حَقِيبَـةِ الـرَّحْـلِ

أراد الفرزدق أنه لم يمدح أحداً قط. وأشار إلى أنَّه لما سُئِلَ لبيد: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: صاحب القروح ثم ٱبن العشرين، ثم صاحب المِخْجَنة يعني بالأَوَّل ٱمْرَأَ القيس في قوله[2]:

(طويل)

وَبُـدِّلْـتُ قَـرْحـاً دَامِيـاً بَعْـدَ صِحَّـةٍ فَيَـا لـك مِـنْ نُعْمَـى تَبـدَّلْـنَ أَبـؤُسَـا

فَلَـو أَنَّهـا نَفْـسٌ تَمُـوتُ جَمِيعـةً وَلكِنَّهَـا نَفْـسٌ تَسَـاقَـطُ أَنْفُسَـا

ويعني بٱبن العشرين طرفةٍ، ويعني بصاحب المِخْجَنة نفسه[3].

وأورد الهمداني أبياتاً علقمة ذي جدن ذكر فيها غمدان في قوله[4]:

---

(1) القصيدة / 72، وديوانه / 238.

(2) القصيدة / 72 وديوانه / 107 وعجزه (لَعَلَّ مَنَايَانَا تحوَّلْنَ...) والبيت الثاني صدره عند الهمداني «فلو أنها نفس تموت احتسبتها» ورواية الديوان أثبت».

(3) انظر الرواية في الشعر والشعراء 1/189 ـ 190 «قال أبو عبيدة: مَرَّ لبيد بمجلس لِنَهْدٍ بالكوفة....».

(4) القصيدة / 97 «النَّيقُ: حَرْفٌ من حروفِ الجبل» وهكذا فسّرها الخليل في العين 5/220 مادة: «نيق».

(وافر)

وغمـدان الـذي خبّـرْت عَنْـهُ بَنَـاهُ شـامـخ فـي رَأسِ نِيْـق
بِمَـرْمَـرةٍ وَأَعْـلاَهُ رخـام فمـا يبـدو بـذروتِـهِ شقـوق
مصـابيـح السليـط يلحـن فيـهِ إذَا يُمْسِـي كَـإيْمَـاض البـروق
ونخلتـه التـي غـرسـت لـديـه تهصـر فـي ذَراه بـالعَـذوق

منبهاً على أنّ نخلة غمدان إحدى عجائب الدنيا مشيراً إلى أنّ قوله: (خُبّرْتُ عَنْهُ) لأنّ علقمة كان أَعْمَى مطموساً.

وذكر أنّه رأى الناس يكثرون التعجب من الأعشى، ومن بشار بن برد إلاّ أنّه يرى أنّ علقمة ذا جدن أحسن منهما تشبيهاً ولو أورد له أبياتاً غير الأبيات المتقدمة لكان دليله أقوى، وأفضل لأن للأعشى، ولبشار قصائد راعة مضامينها أرفع مما تضمنته أبيات علقمة، وفيها خيال يفوق تخيله وتصوره.

وأورد لأيام قومه أبياتاً قيلت في أيامهم كيوم الكديد[1]، ويوم الخليج[2] والغمير[2]، وغيرها منبهاً في خاتمتها على أنّه مَثّل لكلّ وقعة منبهاً بيتين، وبثلاثة لئلا يطول كتابَهُ، وميلاً للاختصار مشيراً إلى أنه جمع أيامهم في كتابه المؤلف في مفاخر اليمن، ووقائعها[3] وربّما يعني كتابه الإكليل كما جمع نتفاً من أشعارهم التي جرت في قتل عمارة في كتابه «كتاب الأيام»[4].

ونصّ على أنّ بني أسد أحلاف لطيء مؤكداً أنّ حذيفة بن بدر حالف

(1) القصيدة / 174.
(2) القصيدة / 175.
(3) القصيدة / 183 ـ 184.
(4) القصيدة / 194.

بينهم، وكانت شعراؤهم تمدح طيئاً، ولا يمدح أحد من طيء أسداً، وكان بشر بن أبي خازم أكثر ما يتقرب إلى آل حارثة بن لأم يذم قومه من بني أسد[1]:

وهو القائل لأوس بن حارثة بن لأم في قصيدة امتدحه بها[2]:

(طويل)

عَبيـدُ ٱلْعَصَـا لَـمْ يَتَّقُـوكَ بـذمّـةٍ سِوَى سَيْبِ سُعْدَى إنّ سَيْبَكَ نَافِعُ

وقال[3]:

(طويل)

فَتًـى مِـنْ بنـي لأَمٍ أَغَـرُّ كَـأَنَّـهُ شِهَابٌ بَدَا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاطِعُ

وَأكد محقق ديوانه أَنّ شعره في أوس كان هجاءً ومدحاً، وإنَّه يشغل حيّزاً كبيراً من ديوانه[٤].

وأورد للأخطل بيتين من مدحه سِماك بن مخزمة الأَسدِيّ قوله[4]:

(بسيط)

إنَّ سِمَـاكـاً بَنَـى مَجْـداً لأُسْـرَتِـهِ حَتّى الْمَمَاتِ، وفِعْلُ ٱلْخَيْرِ يُبْتَدَرُ

قَـدْ كُنْـتُ أَحْسِبُـهُ قَيْنـاً، وَأُنْبـؤُهُ فَـالْيَـومَ طَيَّـرَ عَـنْ أَثْـوَابِـهِ ٱلشَّـرَرُ

وقد أخذ عليه قوله هذا لأَنَّه مدح كالهجاء[5]!. وأشار الهمداني إلى أنَّ سِماكاً كان قد بنى مَسْجداً. وقال للأخطل: «ويحك ما أعياك أردْتَ أنْ

(1) القصيدة / 206 ـ 207.
(2) القصيدة / 207، والديوان / 115 «لَمْ يَمْنَعُوكَ نُفُوسَهُم».
(3) مقدمة المحقق / 31.
(4) القصيدة / 208، والديوان 2/674، والثاني في الشعر والشعراء 1/488.
(5) الشعر والشعراء 1/487 ـ 488.

تمدحني فهجوتني»، وعدّها الهمدانيّ من إحدى أغاليط الأخطل في الشعر.

وأشار إلى غلط ذي الرمة في بلال بقوله[1]:

(وافر)

رأيتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلَالاَ

وقالوا: ذو الرمّةَ أحسن الناس تشبيهاً، وإنّما وضعه عندهم أنّه كان لا يحسن المدحَ ولا يجيد الهجاءَ، ولما أَنْشَدَ بلال بن أبي بردة قوله المتقدم. قال بلال: يا غلام أعطه حبلَ قَتٍّ لِصَيْدَح[2]:

ونبّه على أنّه لولا ذكر نجعة الغيث لكان كقول الأعشى[3]:

(الخفيف)

لا تَشْكَيْ إليَّ وَانْتَجِعِي الأَسْوَ دَ أَهْلَ النَّدَى، وَأَهْلَ الفِعَالِ

وينصّ الهمداني على أنّ ذا الرمة بالرغم من موضعه من الشعر فإنّه كانَ لا يحسن الهجاء، ولا المدح، وخله والفلاة، والراحلة مع الغزل الذي لا يقدر عليه أحد غيره، وهو بارع في التشبيه وحسنه.

ونبّه الهمدانيّ على أنّه أخذ في شعره كثيراً من شعر الأَعْشَى اللاَّمِي منه البيت المتقدم في النجعة، وقوله[4]:

(متقارب)

أَرِيحِيٌّ صَلْتٌ يَظَلُّ لَهُ الْقَوْ مُ رُكُّواً قِيَامَهُمْ لِلْهِلاَلِ

(1) القصيدة / 208، الشعر والشعراء 1/ 534 ـ صيدح: أسم ناقة ذي الرقة.
(2) الشعر والشعراء 1/ 534.
(3) القصيدة / 209، وديوان الأعشى / 7.
(4) القصيدة / 209، وديوان الأعشى / 9.

فقالَ ذو الرمة، وَأتى به في بيتين[1]:

(وافر)

كَـأنَّ النَّـاسَ حِيـنَ تَمـرُّ حَتَّـى ... عـواتـق لَـمْ تَكُـنْ تَـدَعُ الحِجَـالاَ

قِيَـامـاً ينظـرون إلَـى بِـلاَلٍ ... رِفَـاقُ الحَـجّ قَـابَلَـتِ الهِـلاَلاَ

كما نبّه على أنّ الأعشى أخذ من طرفة، وعدي بن زيد فما أخذه لطرفة[2]:

(رمل)

يَطْـرُدُ القَـرَّ بِحَـرٍّ سَـاخِـنٍ ... وعَكِيـكَ الصَّيـفِ إنْ جَـاءَ بِقُـر

فَأتَى به في بيتين فقال[3]:

(متقارب)

وَتَبْـرُدُ بَـرْدَ رِدَاءِ العَـرو ... س رَقْـرَقْـتَ بِـالصَّيْـفِ فِيـهِ العَبِيـرَا

وَتَسْخُـنُ لَيْلَـةَ لا يَسْتَطِيـعُ ... نُبَـاحـاً بِهَـا الكَلْـبُ إلاَّ هَـرِيـرَا

ثم ذكر أنَّ طرفة أخذ من امرىء القيس[4]:

(طويل)

وقُـوفـاً بِهَـا صَحْبِـي كَـأنَّ مَطِيَّهُـمْ ... يَقُـولُـونَ: لاَ تَهْلِـكْ أَسًـى وَتَجَلَّـد

(1) القصيدة / 209.

(2) القصيدة / 209 ـ 210، وديوان طرفة / 53 وفيه (تطرد)، و (صادق) مكان (ساحن)، و (القيظ) مكان (الصيف).

(3) القصيدة / 210، وديوان الأعشى / 95 وفي القصيدة (بالصيف رقرقت) و (أن ينبح الكلب)، وثبتنا رواية الديوان.

(4) القصيدة / 210، وفي ديوان طرفة / 19 (عليَّ) مكان (كَأنَّ)، وديوان امرىء القيس / 9 قافيته و (تجمَّلِ).

ويروي الهمدانيّ أنَّ النابغة الجعديّ قد أرتج عليه الشعر ثلاثين سنة فلما قتل شراحيل استخفَهُ الجذل «أي: الفرح» فانزاحت عنه تلك الحبسة، فنطق بالشعر، فقالت: بنو جعدة: «ما نحن بأشد جذلاً في قتل شراحيل منا بإطلاق لسان شاعرنا»[1].

وأشار إلى أنَّ الأسد بن ناعضة له أشعار مشهورة ومما أورده له قوله[2]:

(وافر)

قَتَلْتُ محلماً وَأَسَرْتُ عَمْراً ... وَعَنْتَرَةَ الْفَوَارِسِ قَدْ قَتَلْتُ

أَذَقْتُ طَعَنَةً في الصدر مِنْهُ ... وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ غَشَمْتُ

ويذكر الهمدانيّ أن الأسد بن ناعضة هذا هو المشبب بخنساء، ونبّه على أنَّها غير خنساء أخت صخر لأنَّه قديم وعَدَّ شعره قاسياً لا يكاد يروى.

وأورد قولاً للفرزدق يذكر منعة نجران[3]:

(طويل)

سَمَوْنَا لنجران اليمانيّ وأَرْضه ... ونجران أَرْض لم تدين مقاوله

عاب عليه لأنه قال: (سَمَوْنا)، ولم يقل: (دَخَلْنا).

ونبّه على مدح النابغة لحاجبه عصاماً في أرجوزة له قوله[4]:

---

(1) القصيدة / 216.

(2) القصيدة / 236، والغَشْمُ: الظُّلْمُ.

(3) القصيدة / 260.

(4) القصيدة / 280، ديوانه / 143، وفيه (وعَلَّمَتْهُ) مكان (عودتْهُ)، وصَيَّرَتْهُ مكان (جعلَتْهُ)، وعجز الثاني من الديوان.

(رجز)

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَوَّدَتْهُ الكَرَّ والإقْدَامَا
وَجَعَلَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا حَتَّى عَلاَ وَجَاوَزَ الأَقْوَامَا

وأشار الهمدانيّ إلى أنَّ الشعراء من نزار كانت تمدح ملوك اليمن، وتهجوها ونصّ على أن المنذر بن ماء السماء قد أمر حرملة بن عسلة الشيبانيّ أن يهجوَ الحارث بن جبلة الغسانيّ وكانت أمّه غسانيّة، فجذبه عرق التكرم إلى أن أبي، وَأَنْشَأَ يقول[1]:

(متقارب)

وَغَسَّانُ قَوْمٌ هُمُ وَالِدِيَّ فَهَلْ أَنْسِيَنْ ذَاكَ حَتَّى أَغِيبَا
فَأَوْزِعْ بِهَا بَعْضَ مَنْ يَعْتَرِيكَ فَإِنَّ لَهَا مِنْ مَعَدٍّ كُلَيْباً
وَإِنّ لِخَالِيَ لَمَنْدُوحَةً وَإِنّ عَلَيَّ بِغَيْبٍ رَقِيْباً

فَانبرَى شِهَابُ بن العيف العبدِيّ يقول[2]:

(رجز)

اللَّهمَّ إنَّ الحارث بن جَبَلَهْ رَبَا على أَبِيهِ ثُمَّ قَتَلَهْ
فَأَيّ فِعْل سيء فَعَلَهْ

ثم وقع بعد ذلك في يد الحارث بن جبلة فعفا عنه.

ومدائح النعمان من النابغة، والأعشى، وزهير إنْ صَحَّ شعره الذي يقول فيه[3]:

---

(1) القصيدة / 281.
(2) القصيدة / 281.
(3) القصيدة / 280، وانظر مدائح النابغة والأعشى في النعمان / 279 الضرغامة: الأسد.

(منسرح)

إنَّ مَلِيكـي النُّعْمَـانُ وَاحِـدُ قَحْـ ... ـطـان وَعـزٌّ لَهَـا وَمُعْتَمَـدُ
ضِرْغَـامَـةٌ تَخْضَـعُ الـرؤُوسُ لَـهُ ... كَـأَنَّمـا النَّـاسُ حَـوْلَـهُ نقـدُ

ويظن الهمدانيّ أنّ الشاعر الحكميّ - وهو أبو نواس الحسن بن هانِىء - قال في صفة اليمن، ومنعتها، وملوكها، وصفة بلد عدنان[1]:

(بسيط)

مَجَالِسُ الحَيِّ مِنْ قَحْطانَ بالنَّضَدِ ... وَمَـأربٍ فظفـار الملـك فَـالْجَنَـدِ
أَرْضُ التبابع، والأَقْوالُ من يَمَنٍ ... أَهْلُ الجِيَادِ، وَأَهْلُ البيْض والزَرَدِ
قَوْمٌ إِذَا ادَّرَعُـوا أَعْيَتْ مَصَـادِرُهُـمْ ... وَٱسْتَرْهَبُوا النَّاسَ مِنْ عَانٍ وَمُعْتَبَدِ
هَذُوا الْحُصُونَ، وَدَانُوا كُلَّ مصنعَةٍ ... وَرَضْرَضُوا مِنْ مَعَدٍ سَاكِنِ العَمَدِ
مَـا دَخَّلُـوا قَـرْيَـةً إِلاَّ وَقَـدْ كَتَبُـوا ... فِيهَـا كِتَـاباً فَلَـمْ يُـدْرَسْ وَلَـم يُبـدِ
بِـالْقَيْـرَوَانِ، وَبَـابِ الهِنْـدِ كُتْبُهُـمُ ... وَبَابِ مَرْوٍ، وَبَابِ الصِّينِ وَالْسُغُدِ

يريد باب سمرقند.

ولا أظنُّ أنّ هذه الأبيات لأبي نُواس لأنَّه هَجَا اليمن في قوله لهاشم بن حديج قوله[2]:

يَا هَاشِمَ بن حَدِيجٍ لَيْسَ فَخْرُكُمُ ... بِقَتْـلِ صَهْـرِ رَسُـولِ اللهِ بـالْسَّـدَدِ
أَدْرَجْتُـمُ فِـي إِهَـابِ الْعِيـرِ جَثَّتَـهُ ... فَبِئْـسَ مَـا قَـدَّمَـتْ أَيـدِيْكُـمُ لِغَـدِ
إِنْ تَقْتُلُوا ٱبنَ أَبي بَكْرٍ فَقَد قَتَلَتْ ... حُجْـراً بِـدَارَةَ مَلْحُـوبٍ بَنُـو أَسَـدِ
وَطَرَّدُوكُـم إِلَـى الأَجْبَـالِ مِـنْ أَجَـإٍ ... طَـرْدَ النَّعَـامِ إِذَا مَـا تَـاهَ فِـي الْبَلَـدِ

(1) القصيدة / 288 ـ 289.
(2) ديوانه ط 2 ـ بيروت / 104 ـ 105.

ونفي الهمداني الشعر المنسوب إلى الرسول الأعظم (ﷺ) كقوله[1]:

(رجز)

هَلْ أَنْتِ إلاَّ إِصْبَعٌ دُمِيْتِ وَفِي سبيل اللَّهِ مَا لَقِيْتِ

وقوله[2]:

(رجز)

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ

عَدَّ هذا البيت من الرجز المشطور المثلوث، وهو المنهوك. ودلل على نفي الشعر عن الرسول (ﷺ) ـ وكون ما أوردوه له ليس بشعر ـ بقول الخليل بن أحمد[3]: «ليس الرجز من الشعر، ومَنْ رَدّ حجتي فقد كفر. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ومَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[4]، وقد كان ينشد نصف بيت طرفة ثابتاً، ونصفه مقلوباً فيقول[5]:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْهُ بالأَخْبَار

وقال: «وكان ابن عباس إذَا أنشد هذا البيت قال: (إنَّها لكلمة نبي)»[6].

وقد نصّ الخليل بن أحمد على النفي قوله: «والرَّجَزُ المَشْطُورُ

(1) القصيدة / 323 ـ 324، والعين 6/65 (رجز).
(2) القصيدة / 324، والعين 6/65 (رجز).
(3) القصيدة / 323.
(4) سورة يسّ 36/70.
(5) العين 6/64 ـ 65 (رجز) وديوان طرفة / 41.
(6) القصيدة / 323.

وَالمَنْهُوكُ لَيْسَا مِنَ الشَعْر» وَقِيلَ لَهُ: ما هُما؟ قال: أنصافٌ مُسَجَّعَةٌ. فلما رُدَّ عليه قال: لأَحتَجَّنَ عَلَيْهِمْ بِحُجَّة فَإِنْ لم يُقِرُّوا بها عَسَفُوا، فأحتجُّ عليهم بأنّ رسول الله (ﷺ) كان لا يجري على لسانه الشِّعر.

وقيل لرسول الله (ﷺ)[1]:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَـأْتِيـكَ بـالأَخْبَـارِ مـن لَـمْ تُـزَوِّدِ

فكان يقول ـ ﷺ ـ: «سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً، وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ» قال الخليل: «فقد عَلِمْنا أَنَّ النِّصْفَ الذي جَرَى على لسانه لا يكون شعراً إلاَّ بتمام النصف الثاني على لفظِهِ وعروضِهِ فالرَّجَزُ الْمَشْطُورُ مثلُ ذلك النِّصف»[2].

وأورد الخليل قول النبي (ﷺ) في حفر الخندق، وأكد أنَّه: من الْمَشْطُورِ كما أورد قوله (ﷺ) (أنا النَّبِيُّ...) المتقدم الذكر: ويراه من المنهوك مؤكداً أنَّه لو كان شِعْرَاً ما جَرَى على لسانه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا علمناه الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[3].

وذكر ما قاله بعض النزاريَّة لبعض اليمانيّة ذاكراً شعراء نزار أكثر فقال ليس كما تقول مِنّا الأصل في الشعر، والفرع ما لأولكم مع امرىء القيس نصيب يذكر، ولا لآخركم مثل أبي نواس، والضّريع، ومن بعدهم من أصحاب المعاني حظّ يشهر، وعَدَّ أنَّ الأمر كما ذكرت فاسمع إلى مَنْ يقول، وأنشأ يقول شعراً[4]:

---

(1) العين / 6/64 ـ 65 (رجز) وديوان طرفة / 41.
(2) العين 6/65 (رجز).
(3) سورة يسّ 36/70.
(4) القصيدة / 480 ـ 481.

(وافر)

شُغِلْتُمْ بالمقال عن الفِعَالِ وأثرْنَا الفِعَالَ عَلَى المَقَال
وَلَو جعنَا كجوعِكُمُ هَذِينَا وَذُو الْوَجَبَاتِ يَنْطِقُ بِالمَحَالِ

ثم أوردَ أبياتاً لأبي نواس قد هجاهم بعيشهم إذْ يقول[1]:

(بسيط)

أَضْحَابُ ضبٍ وَيَرْبوعٍ وَحَنْظَلَةٍ وبلدة يَسْكِنُوا مِنْهَا عَلَى ضَمَدِ
مواطنٌ مِنْ تميم غَيْرِ مُعْجَبَةٍ أهل الخَنَا وَمحل البؤسِ والصَّلَدِ
إنْ يطعموا الصيد باتوا مخمصين به وزَادَهَا الجوع إنْ بَاتَتْ وَلَمْ تَصدِ

واستحسن أبياتاً من قصيدته الدامغة، فأثنى على قوله[2]:

(وافر)

فَتَحْسِبُ للتَّوَقُّمِ مُنْعَلاَتٍ بِأَعْيُنِهِنَّ مِمَّا قَدْ حَفِينَا

ونصّ على أنّ هذا البيت، والذي يتلوه من أشعر ما في قصيدته الدامغة، والذي يتلوه قوله[3]:

تَكَادُ إِذَا الْغَضَارِيطُ اغْتَنَتْهَا بِلاَ ثَمَنٍ الثَّرَى مِمَّا وَنِينَا
فَدَانَ الخَافِقَانِ لَهُ وَأَضْحَى مُلُوكهُمَا لَه مُتَضَائِلِينَا
أَبُو حَسَّانَ أَسْعَدُ ذُو تَبَانٍ وَذَلِكَ مُفْرَدٌ عَدِمَ الْقَرِينَا

وذكر عدداً كبيراً من الشعراء أوائلهم امرىء القيس، والأفوه الأودِي، وعمرو بن معديكرب، وقيس بن هبيرة، وغيرهم ويقارب مَنْ عَدَّدَهم الثمانية والثمانين شاعراً. وبعد ذلك ذكر عدد شعراء الدولة، ويعني شعراء الدولة

(1) القصيدة / 481.
(2) (3) القصيدة / 531.

العباسية[1].

ثم ذكر الهمدانيّ ما نصّه «خبرت من بعض مَنْ لقي الرياشيّ قال: جَالَسْتُ الأصمعيّ، فتذاكرنا شِعرَ محمد بن مُناذر وجودته. فقال: وأين أنت من شعر الحارثيّ. قلتُ: وَإنَّه أَشْعَرُ منه. قال: إي والله ومن جرير والفرزدق، وكثير من المخضرمين من شعراء الجاهليّة، وأنشد مرثيته لأخيه العينية حَتَّى أَتَى على آخرها التي يقول فيها»[2]:

(طويل)

رأَتْهُ المَنَايَا خَيْرَنَا فَاخْتَرمْنَهُ وَكُنَّ بِتَعْجِيلِ الأَخَابِيرِ وُلّعا

(1) القصيدة / 555.

(2) القصيدة / 555 والخبر والمرثية في ديوانه / 69.

خاتمة البحث

دَلل البحث على اطلاع الهمدانيّ ومعرفته بأول من هلهل الشعر وطوله وهو عدي كما أثبت البحث أن الهمداني فاضل بين الشعراء ودلل على الهجائيين منهم كالطرماح والأخطل والفرزدق ويزيد بن المفرغ والسيد الحميريّ مؤكداً أن زيد الخيل أهجاهم جميعاً.

وأثبت الهمداني أن امرىء القيس أول من فتق عين الشعر ودققه وطوله وتفنن فيه ووصف الدمن، والغيث، والفرس وهو أول من شبّه في شعره وغزّل الغزل العجيب ودلل على ما ذهب إليه بأقوال الشعراء وثنائهم على امرىء القيس منبهاً على أن علقمة ذا جدن أحسن تشبيهاً من الأعشى وبشار.

ودلل البحث على مآخذ الهمداني على الشعراء مما يدل على فطنته وحذقه فكشف سرقات بعضهم.

كما توصل البحث إلى أن الهمداني ينفي ما نسب إلى الرسول (ﷺ) من شعر وهو بهذا يتفق مع ما ذهب إليه الخليل بن أحمد من نفي ما نسب إلى الرسول (ﷺ) من شعر.

وتوصل البحث أيضاً إلى أن الهمداني له معرفة كبيرة بالشعراء إذ عدد ما يقارب الثمانية والثمانين شاعراً من شعراء اليمن إضافة إلى ما ذكره من شعراء الدولة العباسيّة.

كما أثبت البحث أيضاً أن الهمداني على اطلاع واسع بمجالس العلماء إذ روى عن الرياشي مجلساً مع الأصمعيّ.

ونرى أن ما ذكره من ملاحظات نقدية ـ سواء ما استحسنه من الشعر أو ما استقبحه منه ـ لا تختلف عن ملاحظات أقرانه من علماء اللغة الأوائل علماً أن له إضافات أخرى وهي ما أبرزه وأثبته من شعر شعراء يمانيين كان هو أدرى من غيره به.

مصادر البحث ومراجعه

1 ـ الحارثي حياته وشعره لزكي ذاكر العاني ـ دار الحرية بغداد 1980 م.

2 ـ ديوان الأعشى تحقيق محمد حسين ـ نشر مكتبة الآداب بالجماميز.

3 ـ ديوان طرفة بن العبد ـ المؤسسة العربية للطباعة ـ بيروت لبنان.

4 ـ شرح ديوان جرير تقديم محمد إسماعيل الصاوي ـ مكتبة دار الثقافة العربية.

5 ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف ـ بمصر.

6 ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ـ تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج ـ دار المعارف بمصر ط 4.

7 ـ الطرماح بن حكيم الطائيّ لعزمي الصالحيّ مطبعة الاقتصاد بغداد.

8 ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسيّ ـ تحقيق د. عبدالمجيد الترحينيّ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت 1407 هـ / 1987 م.

9 ـ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ جـ 6 تحقيق د. مهدي المخزوميّ، و د. إبراهيم السامرائي مطابع كويت 1982 م.

10 ـ كتاب القصيدة الدامغة للهمداني ـ تحقيق محمد علي الأكوع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة 1978 م.

11 ـ النابغة الذبيانيّ حياته وشعره ـ لفارس صويتي نشر دار كرم ـ دمشق.

12 ـ نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها، د. هادي عطية مطر الهلاليّ ـ آفاق عربية ومطبعة جامعة البصرة 1404 هـ / 1984 م.